وزروع لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذوهم وضيقوا فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم اذا فعلتم
بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم وقصدوهم فاصابوا غلمانا حسانا صباحا فاختنثوا واستحكم
ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغربا وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الاول
من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم اخصبت فقصدها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة
شاب امرد فدعا الى نفسه فكان اول من نكح في دبره فامر الله السما ان تحصبهم والارض ان تخسفهم وقوله تعالى
وما كان جواب قومه يعني وما كان جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى
عليهم من العمل الخبيث الا ان قالوا يعني قال بعضهم لبعض اخرجوهم من قريتكم يعني اخرجوا لوطا واتباعه
واهل دينه من بلدكم انهم اناس يتطهرون يعني انهم اناس يتنزهون عن فعلكم وعن ادبار الرجال لانه موضع النجاسة
ومن تركه فقد تطهر فلهذا قال انهم اناس يتطهرون من فعل المعاصي والاثام فانجيناه واهله يعني فانجينا لوطا ومن امن
معه واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلين به بسبب النسب والمراد باهله ابنتاه الا امراته يعني زوجته كانت
من الغابرين يعني كانت من الباقين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت كافرة من الباقين المعمرين قد اتى عليها
دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر
الرجال فقال من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا يعني حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السما وامطرت
وقال ابو عبيدة يقال في العذاب امطر وفي الرحمة مطر فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يعني انظر يا محمد كيف كان
عاقبة هولا الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام
فادخل جناحه تحت مداين قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السما ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة
وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من امته ليعتبروا
ويجري على اوليك فينزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل والى مدين
اخاهم شعيبا يعني وارسلنا الى مدين اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مديان بن ابراهيم الخليل
عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين اسم للقبيلة كما يقال
بنو تميم وبنو عدي وبنو اسد وقيل مدين اسم للما الذي كانوا عليه وقيل اسم المدينة وعلى هذين القولين يكون
المعنى وارسلنا الى اهل مدين والصحيح هو الاول وقوله اخاهم شعيبا يعني في النسب لا في الدين وشعيب هو
ابن نويب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام قاله عطا وقال محمد بن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين
ابن ابراهيم عليه السلام وام ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب عليه السلام بن ثيرون بن مدين
ابن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب اعمى وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وكان
قومه اهل كفر وبخس في المكيال والميزان قال يعني شعيبا يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاتكم
بينة من ربكم يعني قد جاتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما اقول وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم
لانه لا بد لكل نبي معجزة تدل على صدقه جاء به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر
في القران وليست كل ايات الانبيا مذكورة في القران وقيل اراد بالبينة مجي شعيب بالرسالة اليهم وقيل
اراد بالبينة الموعظة وهو قوله تعالى فاوفوا الكيل والميزان يعني فاتموا الكيل والميزان واعطوا الناس
حقوقهم وهو قوله تعالى ولا تبخسوا الناس اشياءهم يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فتطففوا
الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا نقصه وطففه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
يعني بعد ان اصلحها الله ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم ذلكم يعني الذي ذكرت

لكم

لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفا الكيل وترك الظلم والبخس خير لكم يعني مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس ان كنتم مومنين
يعني مصدقين بما اقول ولا تقعدوا بكل صراط توعدون يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق
من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون
من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو قوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من امن به يعني وتمنعون من يريد
الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى عليهم
ان شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتننكم عن دينكم وتبغونها عوجا يعني وتريدون ان تعوجوا الطريق عن الحق وتعدلوا بها
عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها الزيغ والهلاك ولا تستقيموا على طريق الهدى والرشاد واذكروا اذ كنتم قليلا
فكثركم يعني ان شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد
الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا ضعفا فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة
واعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمه عليكم وامنوا به وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعني وانظروا اعتبارا ما نزل بمن
قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك واقرب الامم اليكم قوم
لوط فانظروا كيف انزل عليهم حجارة من السما لما عصوا وكذبوا رسله وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم
يومنوا يعني وان اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين فرقة امنت بي وصدقتني بما جيت به وفرقة كذبت وجحدت
رسالتي فاصبروا فيه وعيد وتهديد حتى يحكم الله بيننا يعني حتى يقضي الله ويفصل بيننا فيعز المومنين الصادقين
وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويخذلهم وهو خير الحاكمين يعني انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه
وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير
الحاكمين قال الملا الذين استكبروا من قومه يعني قال الجماعة من اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا
عن اتباع شعيب لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا يعني ان قوم شعيب اجابوه بان
قالوا لا بد من احد امرين اما اخراجك ومن معك على دينك من بلدنا او لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه
اشكال وهو ان شعيبا لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع اليها كان تعليله فما معنى قوله او لتعودن في ملتنا واجيب عن
هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملتهم اوليك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في
الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتدا كما تقول قد عاد على فلان
مكروه يعني قد لحقه منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر فان تكن الايام تحسن مرة
الي فقد عادت لهن ذنوب اراد انه صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان وقوله تعالى
قال اولو كنا كارهين يعني لا نعود في ملتكم ولو اكرهتمونا واجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها يعني ان شعيبا اجاب قومه اذا دعوه ومن امن الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال
قد افترينا يعني قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم
عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا انها خطا وهنا ايضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول
وهو ان شعيبا عليه السلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل
ما اجيب عن الاشكال الاول وهو انه يقول ان الله نجى قومه الذين امنوا به من تلك الملة الباطلة على ان شعيبا نظم
نفسه في جملتهم وان كان بريا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معناه نجانا الله منها لما علمنا
قبح ملتكم وفسادها فكانه خلصنا منها وقوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا يعني وما يكون لنا
ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان يشا الله ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله ان نعود فيها حينئذ يمضي قضا الله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)